بحث محكم | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 13 أبريل 2023

القراءة الدولوزية لفلسفة سبينوزا
الإتيقا في أفق التعبير والمحايثة

لمرابط اسنيد
باحث موريتاني

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2023
All rights reserved © 2023

أهمية البحث

يروم هذا البحث مقاربة القراءة الدولوزية لفلسفة اسبينوزا، وبيان فرادة هذه القراءة ضمن التقليد الفرنسي الذي ارتسم منذ مطلع القرن العشرين، والذي عُني باستعادة المفاصل التأويلية الكبرى للفلسفة النسقية، واسبينوزا كغيره من كبار فلاسفة أوروبا المحدثين اندرج ضمن هذا التقليد المتراكم من القراءات والقراءات المضادة، لكن مهمة دولوز كما نحاول تبيانها في هذا البحث هي تجاوز الصعوبات التي أوجدتها القراءة المدرسية للفلسفة النسقية بمعنى الفهم المتعالي لحركة الأنساق الفلسفية، لذلك كان دولوز قبل كل شيء معنيا بالمسار الإيقاعي الذي يحكم نظام العلاقات في الفلسفة السبينوزية على بساط من المحايثة، وبيان حدود الافتراق بين منظومة الأخلاق من جهة ما هي نسق الواجبات القبلية والمتعالية وبين الإتيقا من حيث جملة التراكيب المتصيرة والمحايثة للطبيعة الأفقية الكائن.

تقديم:

دولوز وتاريخ الفلسفة؛ الرؤية الجذمورية

«لا يوجد في نظر دولوز فرق ملموس بين ما هو في الظاهر مصنف دوغمائي ومثاله (الفرق والمعاودة) وبين ما يعود إلى تاريخ الفلسفة الكلاسيكية (اسبينوزا ومشكل التعبير)، أو التحاور مع أحد كبار المعاصرين (فوكو)، أو إجماع حول فنّ بعينه (الصورة الحركة والصورة الزمان)، أو تأمل في كاتب بعينه (بروست والعلامات). فالأمر يتعلق دائما باستهداف حالات المفهوم» آلان باديو. دولوز صخب الكينونة

1- دولوز وتاريخ الفلسفة: الرؤية الجذمورية

ظل التقليد السائد في الفلسفة الفرنسية منذ مطلع القرن العشرين منقطعا على القراءة المدرسية فضلا عن التشريح الفيلولوجي لأعمال كبار الفلاسفة، (هيجل كانط وهوسرل) لم يكن دولوز، رغم ما يبدو من أعماله المبكرة حريصا على تتبع ذلك التقليد الذي أنبنى في فرنسا وفق المسار الفيلولوجي والنسقي لتاريخ الفلسفة، بل إنه لا يجد غضاضة في وصم جيله من أبناء المدرسة الفرنسية المعاصرة بضحايا القمع الأوديبي، الذي مارسه تاريخ الفلسفة ليس فقط على خيارات التفكير، وإنما أيضا خيارات القراءة «لن تبلغ بك الجرأة أن تتكلم باسمك مالم تقرأ هذا وذاك وما كتبه هذا عن ذاك» يتكلم دولوز عن نفسه وكيف شيّد تقنية العصيان بالمقابلة مع التاريخ الهرمي للفلسفة

«لقد مارستُ لمدة طويلة تاريخ الفلسفة، وقرأتُ كتباً عن هذا المؤلف أو ذاك، إلا أنني كنت أتيح لنفسي فرص التعويض بطرق متنوعة: بدءا كنتُ أكنُّ المحبة لمؤلفين كانوا يعارضون التقليد العقلاني في ذلك التاريخ (فبين لوكريس وهيوم وسبينوزا ونيتشه، يبدو لي أن هناك رابطة خفية تتكون من نقد السلب وتمجيد الغبطة والنفور من الدواخل والإيمان ببرانية القوى والعلائق، وفضح السلط.... إلخ) ما كنتُ أناصبه العداء قبل أي شيء هو النزعة الهيجلية والجدل. أما كتابي عن كانط، فشأنه مختلف، فأنا راض عنه، ألفته كما لو كان كتاباً عن عدوّ»[1] يمكن في هذا النص أن نفهم مدلول المعادلة الدولوزية بمجملها، وعلة استعادة دولوز الواعية للمتن السبينوزي على وجه الخصوص، فالاشتباك الدولوزي مع تاريخ الفلسفة والتأريخ لها هو في جوهره محاولة لقلب السائد، سواء على المستوى التراتبي لهذا التاريخ أو على مستوى الشخوص المفاهيمية التي يجري لوكها.

---

1 Lettre à Cressole», in Michel Cressole Deleuze, Editons Universitaires, Paris, 1973, pp. 110-114

انظر؛ جيل دولوز، خارج الفلسفة، نصوص مختارة نقلها إلى العربية، عبد السلام بن عبد العالي وعادل حدجامي، منشورات المتوسط، الطبعة الأولى 2021، ص 5

واسبينوزا -وربما أكثر من غيره- يحقق الغرض المنشود من جهة تقديم نمط من التفلسف المغاير لنظام تراتبية الأنساق، كما أن الصمت التأويلي أو الحرمان الذي مورس في حق اسبينوزا مقابل فلاسفة آخرين، جعل مجرد استحضار اسبينوزا الكلب الميت بتعبير ليسينغ (chien crevé) يعد إعلان تشكيك في المسار النظامي للفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيجل، نحن إذن أمام قراءة تقاطعية (lecture croisés) تمكن من خلالها دولوز من مواجهة المسطرة الخطية العقلانية الكلاسيكية من جهة، ومن جهة أخرى إقامة البناء الأنطولوجي المتسم بالأفقية والمحايثة، فقد كان اسبينوزا بالنسبة إلى دولوز كما يقول أنتونيو نيغري معبرا ووسيلة لتجاوز البنيوية نحو نطاق مفعم بالحيوية[2] (trame vitaliste)

وتقف فيرونيكا برجن (Véronique bergen) عند واقعة مفارقاتية طريفة في فهم دلالة الاستحضار الدولوزي لاسبينوزا، فالنقائص النسقية التي توقف عندها هيجل كثيرا في طور قراءته لفلسفة اسبينوزا هي ذاتها العناصر التقريظية التي حاول دولوز إبرازها في فلسفة اسبينوزا[3]، بناء على التفريق الشهير بين الفكر الجذموري والفكر الشجري، الأول يبسط جذوره بشكل محايث وغير نسقي والأهم من ذلك كله أنه ينطلق من أصل غير تراتبي، مقارنة بالفكر الشجري الذي يضع ابتداء مستوى حاد من التمييز والترتيب المعياري هذا التمييز الذي ظل حاضرا في كل كتابات دولوز وقد مارسه دولوز فعلا قبل أن ينطق به كتابة، يمكن على سبيل التبيين أن نتوقف عند أحد أعمال دولوز المبكرة وهو كتابه حول هيوم.

(Empirisme et subjectivité. Essai sur la nature humaine selon Hume :1953)

نجد أن دولوز يقصي القبليات التصنيفية الرتيبة التي تحصر نتاج الفيلسوف الاسكتلندي ضمن المعسكر الشكي والرّيبي، وتهمل الأبعاد الحيوية ونمط الصيرورة الذي يحكم فلسفة هيوم، معتبرا أن الفيلسوف الأسكتلندي ظل ضحية التصنيف الكانطي، الذي يعمم بشكل قبلي تقسيمات جذرية لتاريخ الفلسفة بين تجريبية وعقلانية[4]

ولعل أول قراءة مستوفية يبرز فيها المنهج الجذموري المحايث الذي اعتمده دولوز ضمن اشتباكه التقصدي بالفلاسفة هي قراءته لنيتشه، باعتباره فيلسوف القلب (le renversement)

2 Antonio Negri, Spinoza / Deleuze · le moment propice, Traduit de l'italien par Judith Revel , spinoza-Deleuze,lectures croisés, Sous la direction de Pascal Sévérac et Anne Sauvagnargues, ENS ÉDITIONS 2016.p 20

3 Véronique BERGEN, L'ONTOLOGIE DE GILLES DELEUZE,Harmattan, 2001 p 442

4 Gilles Deleue, Empirisme et subjectivité, essai sur la nature humaine selon Hume, dépôt l'egal 5 ème Édition 1993 press Universitaire de France 1993. P 121

حرص دولوز على التناول المفاهيمي لفلسفة نيتشه وإبراز المفاهيم الحاكمة لهذه الفلسفة مثل: مفهوم، العدمية- موت الإله؛ ارادة القوة، وفي طور استهداف السائد في قراءة نيتشه يتوقف دولوز عند أربعة تظننات خاطئة حول فلسفة نيتشه يفندها دولوز جميعا.

1- الظن بأن إرادة الاقتدار تعني رغبة في السيطرة أو ضربا من الصراع المجتمعي

2- الظن بأن الأقدر في النظام الاجتماعي هم الأقوياء بالذات

3- الظن بأن فكرة العودة تعني ضربا من الاستعادة لما كان قائما

4- الظن بأن الكتابات المتأخرة هي أعمال زائدة جردها الجنون من قيمتها.

لقد أكمل نيتشه طريقا افتتحه اسبينوزا بإعلانه انتصار الحياة في وجه كل نزعة ارتكاسية[5]

وحول مقولة موت الإله، أحصى دولوز خمسة عشر صيغة وردت فيها هذه العبارة عند نيتشه وأكثرها شهرة على الإطلاق تلك الواردة في نص الأخرق من العلم المرح، إلا أن دولوز يرفض ريادة نص الأخرق معتبرا أن أكثر هذه الصيغ تعبيرا، هي تلك الواردة في المسافر وظله «فأشدّ الناس بشاعة هم قتلة الإله» فالإنسان الذي تحرر من سلطة الإله هو نفسه الذي ما فتئ يركز تحت وطأة القيم عينها، والتي لم يطرأ عليها سوى أنها فقدت مصدر الزامها الخارجي، وصار الإنسان ينهى نفسه بنفسه عما كان يحظر عليه.[6]

عالج دولوز كذلك مفهوم القلب (le renversement) هو مستوى من الاستحالة يتحقق بواسطة ضرب من التصدّف المقابل لثنائية الواحدية والتعدد، وهنا تتعين فكرة العود كلعبة نرد تحصل دائما بطريقة محددة لكن ناتجها في تقلب مزمن. إنها تكرار لكنه التكرار الذي ينتقي. ويخرج من هذا الانتقاء فصيل جديد من الإنسانية المتسامية على كل قيم العدمية.

وفي العام اللاحق لصدور كتاب نيتشه والفلسفة (1962) أصدر دولوز مؤلفه حول كانط والفلسفة النقدية وقد مرّ بنا كيف قدّم دولوز لهذا الكتاب بوصفه إعلان خصومة لا مناص منها، ما ينتهي إليه دولوز في تحرّيه لنظام المصالح العملية الذي يحكم الفلسفة النقدية، هو أن الموئل النهائي للكانطية وتحققها التاريخي لا يمكن أن يتعيّن دون نظرية مركبة في الغائية، تتجاوز الصيغة التقليدية للغائية الطبيعية اللاهوتية، وتجعل

5 جيل دلولوز، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1993، ص 55

6 المرجع ذاته ص ص 193-194

الإنسان من حيث هو نومين غاية قصوى للخليقة فالعقل المشرّع هو الذي يتخذ نفسه كغاية والحرية هي التي تعطي نفسها بالضرورة مضمونا غائيا يحدده القانون[7]

وليحدد مدلول العقل عند كانط، يميز جيل دلولوز لديه بين ثلاثة أنواع من البراهين: أولا برهان قيمة معناه أنه إذا لم يكن من دور للعقل سوى تحقيق غاية الطبيعة، فإنه يمكن التساؤل عن القيمة الكبرى التي تعطى له مقارنة مع درجة الحيوانية. ثانيا برهان خلف: يقضي بأنه إذا كان للطبيعة إرادة: أي أنه إذا أرادت تحقيق غاياتها من خلال كائن عاقل، فإنها تكون خاطئة عندما تثق في مقدرته العقلية، إذ كان بالإمكان إنتاج وسائل مثلما تم إنتاج غايات.

ثالثا: برهان سجال: إذا لم يكن العقل سوى ملكة من بين غايات الطبيعة، فإنه يبدو من التناقض أن نجد نوعين من الغايات متناقضين لدى الإنسان: نوع حيواني وآخر أخلاقي[8].

على الرغم من أن دولوز كما أشرنا يعترف بأن كانط هو أبعد الذين اشتغل بهم عن فلسفته الخاصة، إلا أنه وفي نص رشيق من محاوراته الشهيرة مع كلير بارنت، يُبرز الخصوصية الفريدة للمنجز الكانطي، فقد أدخل كانط مقولة المحاكمة إلى الفلسفة، قبل كانط وفي القرن الثامن عشر والسابع عشر كان الفيلسوف يقدّم نفسه بوصفه محققا أحيانا، ومحاميا في أحايين أُخر. أما بالنسبة إلى كانط، فإن الملكات؛ الفهم الخيال المعرفة الأخلاق - تُقاس كدالّة لمحكمة العقل. وهذا بالاعتماد الخاص على مقولة النقد، التي تعبّر عن المنهج الكانطي بالمعنى المحدد. والآن يقول دولوز: عليّ أن أعترف بأن هذا الجانب من كانط يكاد يجعلني أنكمش رعبا، لكنه رعب وكذلك انبهار لأنه بالغ البراعة.[9]

حاولنا في هذا التقديم أن نقف على نماذج من القراءة الجذمورية التي انتهجها دولوز في مقاربته لتاريخ الفلسفة عموما، والتي كانت علاقته مع اسبينوزا مصدرا أساسيا في تشكلها، فاسبينوزا- دولوز ينسج قرابة بنيتشه أكثر مما يجدها في هيجل أو ديكارت.

فضلا عن مقارعة القراءة الهيجلية الجدلية لتاريخ الفلسفة عموما وللسبينوزية خصوصا، حرص دولوز على إخراج اسبينوزا من العباءة الديكارتية، فالاستيلاء الذي مارسه القرّاء الفرنسيون على اسبينوزا منذ مطلع القرن جعل من الحداثة الديكارتية الفضاء التصنيفي الوحيد في مقاربة المعضلة السبينوزية، وهو ما سنناقشه في المحور الأول من هذا البحث.

7 جيل دلولوز، فلسفة كانط النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت الطبعة الأولى 1997، ص 118

8 خميس بوعلي، جيل دولوز، صورة الفيلسوف، مجموعة ناشرين، الطبعة الأولى 2015، ص 28

9 ألف باء دولوز، حوارات جيل دولوز مع كلير بارنت، أحمد حسان، مركز المحروسة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 2018، ص ص 104-103

2- اسبينوزا في الفضاء الفرنسي الماقبدولوزي

يهمنا أن نتوقف عند الوضعية التأويلية التي تبوأها اسبينوزا في الفضاء الفرنسي الماقبدولوزي، فنحن نعلم أن هنالك تقليدا فرنسيا قد شكل الأفق التأويلي للسبينوزية الفرنسية من نهاية القرن التاسع مع دلبوز 1893 وحتى يومنا هذا، ولعل كتاب فريدريك لنوار الأخير حول اسبينوزا والمعنون بمعجزة اسبينوزا (miracle de spinoza) يعد أحد الحلقات المتأخرة في هذا المسار الطويل من القراءات والقراءات المضادة التي تعتبر اسبينوزا أحد أقطاب الحداثة الديكارتية مع التسليم بالريادة الديكارتية في تشكُّل العقلانية الحديثة، من هنا يكون الحديث عن فرادة اسبينوزية بمثابة الانزواء عن المسار النظامي لتاريخية الحداثة.

كتب ميشيل سير في نص شهير من العقد الطبيعي 1990 «لقد أصبحنا بحكم تحكُّمنا المفرط في الطبيعة ضعفاء أمامها حتى إنها تهدّدنا هي بدورها لتسيطر علينا، وأكثر من كوننا نملكها ستملكنا هي بدورها كما في القديم، عندما كنّا نخضع للضرورات الطبيعية لكن مع فارق نوعي في الماضي، كان الخضوع محلياً أمّا اليوم فسيكون عالمياً. لذا ينبغي لنا من الآن، البحث عن التحكّم في تحكّمنا لأن تحكّمنا لم يعد منضبطاً ولا مقنّناً، ويتجاوز هدفه، بل أصبح ضد الإنتاج لقد انقلب التحكّم الخالص على نفسه».

لا شكّ أن تتبُّع التقليد الذي ارتسم من خلاله المسار الفلسفي المحدث يفرض على المعنيّ باستبانة المحددات الكبرى لتشكّل النسق في الفلسفة الحديثة استعادة اللحظة الديكارتية كرافعة محورية في تعيّين المنهج الذي سيسلك وفقه العلم والفلسفة منذ القرن السابع عشر، وإذا كان رهان ديكارت في تقويض المسلك الأرسطي والمدرسي[10] قد تحقق وفق قواعد المنهج المبتكرة، فإن ارتهان الفكر الغربي ذاته لأنموذج التفكّر الديكارتي قد أبان عن حجم الخلل الذي اعترى هذا الضرب من العقلانية، وكيف حملت بنفسها بذور فنائها.[11]

ضمن هذا الأفق، يتنزل نص ميشيل سير الذي أشرنا له وضمن هذا الأفق أيضا يلُحُّ السؤال عن عقلانية بديلة أو موازية، ولعلّ ما يكُسب هذا التساؤل شرعيته أننا لا نغادر القالب الزماني ذاته الموسوم بالعقل؛ أي القرن السابع عشر ولا المنهج عينه الذي اقرّه ديكارت؛ أي المنهج الرياضي.

بيد أننا مع ذلك كله يمكن أن نتوسل في السبينوزية موئلا أنثربولوجيا لقيام عقلانية تفهمية كما يدافع عنها دولوز، فإذا كان ديكارت قد حقق القطيعة الإبستيمية مع أرسطو والمدرسة، فإن الأفق الأخلاقي والأنثروبولوجي للديكارتية ظل في أحسن الأحوال ملبوسا بذهنية الأكسيولوجيا القديمة. ووفق هذه المسلمّة

10 ألكسندر كويريه، ثلاثة دروس في ديكارت، ترجمة يوسف كرم، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2014 ص 28

11 ثيودور أدورنو وماكس هوركهايمر، جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، دار اويا للنشر طرابلس – ليبيا الطبعة الأولى 2006، ص ص 16 – 17

لا يمكن الحديث عن التأسيس النسقي للحداثة دون اعتبار المنعرج السبينوزي كضرب مغاير من التحديث الإتيقي المحايث، أو لنقل بعبارة مايكل ماك[12] هي حداثة لا تراتبية (non hierarchical modernity)

تلك الحداثة اللا تراتبية قد مثّلت بعمد أو بغير عمد متنفسا لكل من يحاول استعادة اسبينوزا في أفقنا المعاصر.

ولعلنا نزعم أنه حتى أولئك الذي دخلوا عالم اسبينوزا، انطلاقا من ضرب من الحكم التصنيفي المسبق بإدراجه ضمن المسار الديكارتي، هؤلاء بدورهم حاولوا البحث في اسبينوزا ومن خلاله عن بديل للحداثة الديكارتية، بديل عن التراتبية والمركزية، يقول الأستاذ أحمد العلمي: «إن تمايز الأشياء في الفلسفة الديكارتية هو الذي يضمن وجودها بقوة غيبية متعالية، في حين أن التمييز في فلسفة اسبينوزا هو تمييز في الذات إنه اختلاف الشيء في ذاته، فالجوهر الفرد يختلف في ذاته؛ أي إنه ينطوي على ما لا نهاية له من الصفات والأحوال التي تختلف فيما بينها دون قسمة الجوهر وتبعيضه»[13].

على الرغم مما يلحظه فيرديناند آلكي (Ferdinand alquè) من تناص مفاهيمي يدين به المعجم السبينوزي لديكارت، فإن آلكي مع ذلك لا يفتأ يقيم تمييزا طريفا بين فلاسفة المنهج وفلاسفة النسق، فأن يكون ديكارت فيلسوفا منهجيا، معنى ذلك أن تجربة الوعي القاسية لديه هي التي تقود إلى ضرب من التيقن النهائي. أما نسقية اسبينوزا، فهي تعبير أصيل عن حدس أنطولوجي، يروم وضع الفكر أمام حقيقة مصادراتية تمثل الأصل المتجانس والمحايث للعالم؛ فالتأمل الأول عند ديكارت حول الشك والثاني حول الأنا والثالث حول الإله. أما مؤلف الإتيقا، فإنه يبدأ بالإله شأنه في ذلك شأن الرسالة القصيرة.[14]

ما يُؤخذ على موقف ألكي هذا -وهو المتمرس في نصوص الفلسفة الحديثة-أنه يحدد الجوهر الإلهي أو الطبيعة الطابعة كنقطة ابتداء في فلسفة اسبينوزا، وهو ما كشف دولوز لاحقا عن زيفه وكان دلبوس قبل ذلك قد أبان عن مركزية الهاجس الإتيقي الذي يدفع اسبينوزا لدحض التعالي الأنطولوجي.

يقول دلبوس في نص محوري حول معطيات الإشكال الأخلاقي ومعناه في فلسفة اسبينوزا: «لم يطلق اسبينوزا على كتابه الرئيس اسم الإتيقا دون سبب، إن هذا العنوان يشير إلى الانشغال الأساسي لذهنه والقصد المهيمن على نسقه، إذ إنه على الرغم من لا تناهي المعارف المترتبة ضرورة على ماهية الإله لا يدعي اسبينوزا تفسير شيء من تلك المعارف سوى تلك التي تقودنا بيقين تام إلى سعادة النفس الإنسانية

12 Michael mack, spinoza and the specters of modernity The Continum International Publishing Group: 2010 p 4
13 أحمد العلمي، فلسفة الوجود والسعادة عند اسبينوزا، إفريقيا للنشر، الطبعة الأولى، 2015، ص 24
14 فيرديناند آلكي، دروس السربون، الطبيعة والحقيقة في فلسفة سبينوزا، ترجمة أحمد العلمي، دار إفريقيا للنشر، الدار البيضاء المغرب، 2018 ص 95

وغبطتها القصوى»[15] ويعضد دلبوز موقفه هذا بعبارات شلايرماخر حول مركزية النظرية الأخلاقية في تفكير اسبينوزا.

ما يمكن أن نفيده حقا من القراءة الآلكية لسبينوزا بعيدا عن النقاش حول ما هو ديكارتي في فلسفة اسبينوزا، وهو نقاش دأبت المدرسة الفرنسية عموما الوقوف عنده منذ دلبوز 1893 -والذي يعدُّ بحق أول عمل متماسك حول اسبينوزا في السياق الفرنسي- وحتى فريدريك لنوار(2017) الفارق في ذلك بحق هو دولوز ومزراحي إلى حد كبير، نعود الآن إلى آلكي الذي ينبه إلى مفرق مهم في التعامل مع اسبينوزا، وهو أنه على العكس من كانط وبقية الفلاسفة النسقيين، فإن تطور مذهب اسبينوزا لم يشغل ذلك الحيّز الزماني الكبير، بل إن الصورة النهائية لتشكل الفكر السبينوزي ارتسمت على نحو محدود كرونولوجيا من 1660 صدور الرسالة القصيرة وحتى 1677 وقت وفاة الفيلسوف وخروج الإتيقا[16] لاحقا.

لعلّ عبارة الولادة الثانية (régénération) التي استعملها اسبينوزا في الرسالة القصيرة [17]تكون خير توصيف لما أحدثه في تاريخ الفلسفة، ورغم امتناع الفصل بين الثورة الأنطولوجية والثورة الأكسيولوجية في تفكير اسبينوزا، فإن أقل ما يمكن قوله في هذا المعنى إن المنعرج الأنطولوجي في ارتسامه النهائي، إنما يبين عن أصالة المبحث الإنساني من حيث هو كائن إتيقي، لا تتحقق له الغبطة القصوى إلا ضمن نظام الأنطولوجيا الأفقية، فسرُّ جدارة المعجزة السبينوزية يكمن في قلب النظام الأخلاقي للعالم عبر تقويض الأثنينية أو براديغم الرئاسة والخادم الذي يقدّم صورة ثانوية للجسد على قاعدة أن النفس هي الحقيقة العليا وأن الجسد مادتها السفلية.

ضمن هذا السياق، يميز دولوز بين عقلانية التفاؤل الأخلاقي التي تؤسس الفعل الإنساني على نموذج قبلي للفضيلة الأسمى وتصور مسبق وخيرّ للطبيعة الإنسانية، هذا المسار يمتد من أفلاطون وحتى ليبنيز. أما عقلانية اسبينوزا والتي تتحدد وفق ما يسميه دولوز بالحياد الأخلاقي[18]، فتنحو بالفعل القيمي من تعالي الإطلاق إلى حيز الاشتراط، فكل ما يقال عن طبيعة أصلية ومسطرة أخلاقية ليس له مكان في سيستام المحايثة الإتيقية ومفاهيم مثل الخطيئة والخير والشر ليست سوى ضروب تفكير شخصي مفارقة لكينونة

15 فيكتور دلبوز الإشكال الأخلاقي في فلسفة سبينوزا، ترجمة أحمد العلمي دار إفريقيا للنشر، الدار البيضاء المغرب، 2017 ص 51

16 فيرديناند آلكي، ص 68

17 Spinoza,court traité, tradition, charle aphun, Responsable de publication: Pierre Hidalgo edition numérique, la gaya scienza 2012,p 153

18 جيل دولوز، اسبنوزا ومشكلة التعبير، ترجمة أنطوان حمصي، مراجعة محمد صبحي، دار أطلس للنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولى 2004 ص 209

الواقع الإتيقي، [19] ولا يمكن فصل النقد السبينوزي للقبليات الأخلاقية عن ثورة اسبينوزا على المعرفة الأفهومية بعامة فالكليات

والألفاظ المتعالية هي في حقيقة الأمر نتاج ضرب من المعرفة المشوهة والمبتورة (connaissance mutilé)

لاشك أن المدرسة الفرنسية المعاصرة قد استقبلت السبينوزية في بواكيرها الأولى بنفس ديكارتي صريح، وتلك النظرة ما فتأت تتراجع تدريجيا مع دولوز، ثم بعد ذلك مع روبرت مزراحي، الذي ذهب بالقراءة الحيوية لفلسفة اسبينوزا إلى حدودها القصوى، ولكن الفضل الكبير في انتشال السبينوزية من عباءة التعالي الديكارتية يعود قبل كل شيء إلى دولوز من خلال نظريتي التعبير والمحايثة.

3- نظرية التعبير؛ التعددية المحايثة

تخترق المحايثة متن سبينوزا منذ تشكله المبكر في نص الرسالة القصيرة، حيث عمد ضمن توكيده على الضرورة الأنطولوجية للموجود الأول إلى دبق صفة المحايثة بالإله، إذ لا يمكن أن يكون الجوهر علة متعدية للوجود باعتباره يفعل داخل ذاته لا خارجها.[20]

ولا يلبث اسبينوزا في النص ذاته أن يشير إلى العلة الفيضية كمرادفة للحركة والفعل، ونحن نعلم أن الرسالة القصيرة لا تعبر عن طور الاكتمال في نسق اسبينوزا، ولأن الميتافيزيقا اليونانية كما هو معلوم تقدم ثلاثة تفسيرات متمايزة عن علاقة الكائن الأصلي بالعالم، وهو ما يحيل إلى نظرية المشاركة التي تتوزع بين تصور الصانع الأفلاطوني والأفهوم الفيزيائي للمحرك الأول عند أرسطو، تبقى نظرية الفيض الأفلوطينية هي الأقرب نسبيا لأنموذج المحايثة السّبينوزي. ويقرّ دولوز بهاته القرابة الأنطولوجية بين العلة الفيضية (la cause émanative) والعلة المحايثة (la cause immanente) من حيث إنهما تشتركان في الإنتاج السكوني؛ بمعنى أن كليهما تعبر عن ذاتها في الوجود، إلا أن الفرق الذي تبرز به الثانية هو أن العلة الفيضية لا تحوي الموجود، بل تمنحه شرط الوجود من الإمكان إلى الفعل، في حين أن العلة المحايثة هي علة ملازمة وعلة قريبة[21] وإذا كانت شبهة التآزف بين الفيض والمحايثة بادية في الرسالة القصيرة، فإن

19 court traité, p 66

20 اسبينوزا، الرسالة الموجزة مع اصلاح العقل، ترجمة جلال الدين سعيد ومراجعة صالح مصباح مؤسسة مؤمنون بلا حدود للابحاث والنشر الطبعة الثانية 2017 ص 100

21 جيل دولوز، سبينوزا ومشكلة التعبير، مرجع سابق، ص 142

نص الإتيقا بما هو كمالة النسق ودرة تاجه يحسم هذه المسألة، فكل ما يوجد إنما يوجد في الإله وليس لشيء أن يوجد أو يتصور من دون الإله.[22]

إن الصيغة الفذة للمحايثة السبينوزية هي الأكثر فرادة في تاريخ الفلسفة، فمشكل المشاركة الأثير ينبني على حكم مسبق يميز بين مستويات وجودية غير قابلة للتواشج في حين ينتفي هذا المعضل بإعلان التضايف الأنطولوجي بين العلة الأولى وبقية الموجودات.

كان اسبينوزا متيقظا لما تفضي إليه المحايثة من امتناع الفصل الحتمي بين الجوهر الإلهي والصفة المادية، وهو شرَكُ سعت الفلسفات السابقة على اسبينوزا إلى النجاة منه بأي وسيلة ممكنة، إلا أن اسبينوزا لا يجد غضاضة من نسبة الامتداد إلى الطبيعة الإلهية شريطة أن نسلم بأنه أزلي لا محدود[23]، ورغم ما يعرض له أميل برييه من تعذر الفصل بين صورة الامتداد السبينوزي، وبين التمييز الذي كان ديكارت أقره بين الامتداد كموضوع للفهم والامتداد كموضوع للخيال؛ فالامتداد المتخيل هو القابل للتركيب والتجزئة في حين أن الامتداد بطابعه المعقول لا يقبل القسمة والتناهي[24]، غير أننا نجد في المراسلات المتأخرة موقفا لافتا يعبر فيه اسبينوزا عن عدم رضاه عن وجاهة التعريف الديكارتي للامتداد، بل إن اسبينوزا في الرسالة الأخيرة إلى تشيرنهاوس والمحررة في 23 يونيو 1776؛ أي أشهر قبل وفاته لا يكتفي بشجب التحديد الديكارتي للامتداد، بل يعلن عزمه إعادة بحث هذه المسألة برمتها إن امتدت به الأيام[25]، نعلم بالطبع أن سبينوزا توفي بعد هذه الرسالة بأشهر قليلة.

وإذا كان التشييد الأنطولوجي لسُبل المحايثة يتنافى رأسا مع تقليد التعالي الذي أسست له الفلسفة اليونانية، فإنه من باب أولى يتناقض مع نظرية الخلق اللاهوتية؛ ففي الباب الأول من الإتيقا يتصدى سبينوزا لأحد المفاهيم المركزية في هذه النظرية، وهو مفهوم الحدوث (contengents)

وانطلاقا من القضية 15 يصبح حدوث الأشياء الجزئية غير متيسر نظرا لكونها موجودة في الإله. ولا يمكن أن تنتج معلولاتها إلا على نحو ضروري، وفي حاشية هذه القضية يفرق اسبينوزا بين الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة على أساس أن الأولى تعنى بالإله والصفات الأزلية، والثانية مدارها الأحوال التي هي تعبير عن الصفات أو بعبارة دولوز تعبير عن التعبير(expression de l’expression)[26].

22 باروخ اسبينوزا، الإتيقا ترجمة وتعليق وتقديم أحمد العلمي، دار إفريقيا للنشر، الطبعة الأولى 2010 القضية 15

23 حاشية القضية ذاتها.

24 إميل برييه، تاريخ الفلسفة، الجزء الرابع، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1987 ص 209

25 اسبينوزا المراسلات، ترجمة جلال الدين سعيد، المركز الوطني للترجمة تونس 2015، الرسالة 83

26 جيل دولوز، سبينوزا ومشكلة التعبير، مرجع سابق، ص 5

ويجمل لنا جان كليروس لبّ الخلاف بين الثيولوجيا المسيحية، وبين نظرية المحايثة السبينوزية بقوله: «إن الخصومة بيننا نحن المسيحيون وبين اسبينوزا تدور حول ما إذا كان الإله الحق متمايزا عن الطبيعة وخارجها وما إذا كان مريدا حرّا أم إنه محايث مضطر [27]» من الجليّ أن كليروس يضيف معضلة الحرية التكوينية للإله إلى جانب التعالي كمعرقلات جسيمة تجعل التعايش مع الأفق الأنطولوجي للسبينوزية ممتنعا.

لم يكن اسبينوزا معنيا بأي ضرب من التفكير الأنطولوجي المطاوع للنظم الثيولوجية، والتي تتمركز حول مبدأ العلة الحرة للوجود والصورة الأنتروبومورفية للإله، فهاجس اسبينوزا الأنطولوجي كما يبيّن ريتشارد ميسون هو التماهي مع الرهان العلمي للقرن السابع عشر الذي تشكل الرياضيات رافعته المركزية[28] أما شارلي هينمين، فيقرّ في الثيولوجيا الراديكالية عند سبينوزا أن أي تصور فلسفي للإله، إنما يتعين بالتضاد مع واقع أنطولوجي متقوّم بذاته أو خلفية ميتافيزيقية متعينة سلفا (backdrop of metaphysics)[29] في حالة اسبينوزا تقومت الخلفية الميتافيزيقية على مسار من الأنسنة الإلهية التي تسقط التشبيهات الإنسانية على صورة الإله، لذا بزغت ميتافيزيقاه ضمن مسعى لربط الإله بالطبيعة، باعتباره العلة المحايثة للوجود والتي تفعل وفق ضرورتها الخاصة، من هنا يتعين المعنى الفريد للحرية عند اسبينوزا، سواء بالمعنى الأنطولوجي أو المعنى العملي، قبل ذلك سنتوقف عند الركن الأخير للمحايثة من حيث هي درة التاج في تشييد الدلالة الأنطولوجية للإتيقا، والتي يبتغي من ورائها اسبينوزا نسف التعالي كسند معتبر لنظريات الأخلاق التقليدية، غير أن مهمة الاجتثاث هذه لا تكتمل دون استئناف القول في مسألة الكليات التي نبتت اضطرارا من رحم التعالي، إن افتراض اسبينوزا القائم على إحلال المعاني المشتركة (Notions communes) كبديل تجريبي واضح للمفاهيم المجردة ذات المنشأ الأرسطي، تصل بالمحايثة إلى درجتها القصوى وتعطي مزيدا من الشرعية للرأي القائل إن السبينوزية في صميمها فلسفة تجريبية لا تقنع بالتصور العقلاني لآلية المعرفة وسبل اكتسابها.

يهمنا ذلك الترابط المعرفي الأنطولوجي في فلسفة اسبينوزا، وهو ترابط انبنت عليه مكانة النظرية التعبيرية (Théorie de l'expression) فاللافت أن دولوز وفي العبارات الافتتاحية من كتاب اسبينوزا ونظرية التعبير ينطلق من نشأة هذه النظرية وتطورها لدى اسبينوزا ليس من مؤلفات اسبينوزا على العموم، وإنما من الإتيقا على وجه التخصيص، باعتبار أن كتاب الإتيقا ليس فقط درة التاج في النسق السبينوزي، وإنما على وجه أدق مكمن المنهج التعبيري الذي اعتمده اسبينوزا في توزيعه التعددي والتعبيري لنظام

27 Jean Colerus, La vie de Spinoza, in Œuvres complètes, texte traduit, présenté et annoté par Roland Caillois, Madeleine Francès et Robert Misrahi, Gallimard, Paris,1954.

28 Richard mason, the God of spinoza Cambridge University Press 1997 p: 23-24

29 Charlie heinemen, spinoza's Radical Theology Published 2014 by Routledge, P32

الوجود؛ ذلك أن فكرة التعبير -وخلافا لنظريات المشاركة اليونانية- تمكّن من تجاوز الصعوبات المتعلقة بوحدة الجوهر وتنوع الصفات.[30]

إذا كان دولوز يعتمد على الإتيقا للتعبير عن نظرية التعبير في صورتها النهائية لدى اسبينوزا، فإن مقولة التعبير نفسها في اللغة اللاتينية تثير أكثر من اعتبار دلالي، كما أن النصوص الهولندية للرسالة القصيرة (cours traité) تستعمل عبّر (uytdrukenn) ولكنها في الوقت ذاته تفضل عبارة (vertoonen) والتي من بين معانيها (الإبداء والبرهنة) ينتهي دولوز من هذا التشابك الدلالي إلى أن نظرية التعبير تتضمن متوازية فريدة، إذ التعبير لا يشمل طبيعة الشيء المعرّف فقط، إنما يحتويه ويفسره، فالصفات مثلا لا تعبّر عن ذات الجوهر فقط، بل تفسرها أحيانا وتحتوي عليها أحيانا أخرى.[31]

لا يمكن لمن يقف على طبيعة النسق السبينوزي أن يفصل نظرية التعبير عن نظرية الطبيعة الكلية؛ بمعنى أن التعبيرية السبينوزية وعلى خلاف ليبنيز تجد ألقها في التعددية داخل الواحدية الطبيعية.

ليس من باب الصدفة أن يتعلق علماء الطبيعة بالنسق السبينوزي، فعلى عكس هيجل ومن عاصره من رواد المثالية الألمانية الذين لم تكن الطبيعة بالنسبة إليهم سوى عقل أصيب بالتحجر بحسب العبارة الشهيرة لشيلنج معتبرين التطور في مجال الطبيعة هو نمو سلس صامت عكس المشقة التي تلتمس في مسيرة الروح، [32] لم يكن هذا المنحى الإهمالي للطبيعة حاضرا في تفكرات اسبينوزا، بل إن فلسفة اسبينوزا ليست سوى محاولة لصبغ الوجود بلون الطبيعة، فإذا كانت القضية الخامسة عشر من الباب الأول من الإتيقا تؤسس المنعرج الأنطولوجي المحايث، وهو ربما الأخطر في تاريخ الفلسفة الأولى من حيث الانتقال من الوجود التراتبي إلى الوجود المحايث، وبات كل ما يوجد إنما يوجد في الإله وليس لأي شيء أن يوجد أو يتصور من دون الإله[33] فإن العبارة الأخرى الأكثر وعورة: الإله أو الطبيعة (dieu siva natura)، والتي وردت على نحو متكرر في تمهيد الباب الرابع والقضية الرابعة من الباب ذاته، تنحو بهذا المستجد الأنطولوجي المحايث لأن لا يكون داخل الطبيعة بل هو الطبيعة نفسها، يرى جون ديوي أن اسبينوزا أخذ على عاتقه توحيد مختلف مستويات الوجود وإقامة نوع من المصالحة بين المتناهي واللامتناهي وبين المطلق والنسبي[34]، لكن هذه المصالحة (conciliation) هي مصالحة مجحفة؛ لأنها بالمعنى الهيجلي تلغي الأول على حساب الثاني، فهل كانت طبيعانية اسبينوزا مدار للإلغاء الإنساني على حساب الطبيعة؟

30 جيل دلولوز، اسبينوزا ونظرية التعبير، مرجع سابق ص 5

31 المرجع ذاته ص 7

32 هيجل محاضرات فلسفة التاريخ، الجزء الأول، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، 2007 ص 128

33 الإتيقا الباب الأول القضية 15

34 John dewey panthéisme de Spinoza traduction par marie Gabrielle Bertrand, Klesis – 2016 : 36 – Varia p 10

يقف جيل دولوز عند مسلمة لا مناص منها في فهم علاقة الطبيعة بالإنسان عند سبينوزا، فلما كان الفرد كائنا حاليا مركبا من أجزاء كثيرة، فإن فكرة الحال نفسها عند اسبينوزا لا تشير إلى إمكانات منطقية ولا بنى رياضية أو كيانات ميتافيزيقية، بل هي قبل ذلك كله وقائع فيزيائية خالصة، وحتى الملكات التي تمتلكها النفس من حيث هي فكرة جسد موجود هي في الوقت ذاته تراكيب امتدادية تكف عن الانتماء إلى النفس متى ما كف الجسد نفسه عن الوجود[35]، نستطيع أن نفهم أن هذه الوقائع الفيزيائية ليست موجودات أصيلة؛ بمعنى أنها لا تملك علتها الذاتية، بل هي نتاج جملة من التعالقات الميكانيكية التي تعبر عن الضرورة الحاكمة لنظام الوجود، والتي بدورها لا تفعل سوى وفق طبيعتها الخاصة والضرورية. إننا أمام تمايز بين الطبيعة الضرورية الحاكمة والطبيعة والمطبوعة من حيث هي إمكان فيزيقي.

وقبل الانتقال إلى التفريق السبينوزي بين وجهي الطبيعة يهمنا أن نقف عند تمييز آخر أقل شهرة، وهو تمييز اسبينوزا بين الضرورة والإمكان، والذي خص به رسالة إصلاح العقل من حيث هي المقال المنهجي للإتيقا» فالمستحيل هو الذي لو سلمنا بوجوده انطوت طبيعته على تناقض، والضروري هو الذي لو سلمنا بعدم وجوده انطوت طبيعته على تناقض، والممكن هو الذي لو سلمنا بوجوده أو عدم وجوده لم تنطو طبيعته على تناقض[36]» يدخل في صنف الضروري الموجود الإلهي الطابع، ويدخل في صنف الإمكان الموجود الفردي من حيث هو ليس علة لذاته. أما تمايز الأشياء الجزئية، فليس تمايزا من حيث النوع، إنما هو في الأصل تمايز كمي. فالأجسام باعتبارها أشياء جزئية، فإنها تتمايز بسبب الحركة والسكون، وكل جسم متحرك أو ساكن، إنما هو مدفوع بفعل جسم آخر على السكون أو الحركة؛ وذاك مدفوع بجسم آخر إلى ما لا نهاية[37].

إن مكمن الجدة في الإتيقا ومدار قطيعتها النهائية مع الفلسفة الديكارتية، إنما يُلتمس عن حق في مكانة الطبيعة عند كلا الفيلسوفين؛ فعلى عكس ديكارت الذي فصل بين الطبيعة الميكانيكية، وبين الإله من حيث هو علتها الخارجية والحرة وقد كان ديكارت يكرر دوما «إن الطبيعة ليست إله» فإن ما قام به اسبينوزا يمكن وصفه بقلب الديكارتية، حيث باتت الطبيعة منبع كل شيء وعلته المحايثة، وهي أيضا علة ذاتها والمبدأ الفاعل في تبلور الأشياء، [38] يعتبر فيرديناد آلكي أن سمة الطبيعانية السبينوزية، والتي تميزها عن كل التباس صوفي هو الرياضيات، باعتبارها الوسيلة العقلية لحدس العالم، فالفكرة المكتفية بذاتها ووحدة الطبيعة مع الجوهر ليست فكرة مستحدثة مع اسبينوزا، وهي تنتمي بجلاء لعصر النهضة ونجدها بالصيغة

35 جيل دولوز، سبينوزا فلسفة عملية، ترجمة عادل حدجامي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2015، ص 64

36 رسالة إصلاح العقل، مصدر سابق الفقرة 34

37 الإتيقا الباب الثاني القضية 13 برهان التمهيد الثاني

38 فيرديناند آلكي دروس السوربون، مرجع سابق ص 55

ذاتها عند جوردانو برونو وحده التصور الرياضي يمكنه أن يمنح النشاط الروحي معنى عقليا[39]، لكن التصور الرياضي عند اسبينوزا ليس من ذلك الصنف الممعن في التجريد؛ بمعنى أن اسبينوزا يقدم لنا صيغة رياضية تحكم الطبيعة وتحايثها وهو ما يشير له آلان (Alain) في قراءته لسبينوزا؛ فالمنهج عند اسبينوزا يواكب النسق والطريقة التي نتعرف بها على الفكرة الصحيحة والملائمة بين الافكار المشوشة والمبتورة هي ذاتها التي ندرك بها حقيقة الموجود الأزلي أو الطبيعة الطابعة[40]، وهنا تفترق الرياضيات السبينوزية عن ضروب الترييض الصوفية أو حتى الأفلاطونية التي تمثل في صميمها وسيلة للبحث عن الوحدة والاتساق خارج العالم الفيزيقي.

في الأطروحة الشيقة لجي بي مارتين عن العقل في الطبيعة(The mind in nature) يتساءل الأخير عن مكمن ذلك الإلحاح المزمن والمحايث للطبيعة البشرية على تجاوز الانحصار المحدود للإنسان من حيث هو جزء من الطبيعة؛ ذلك التوق الوجداني لتوكيد المعنى الفوق طبيعي أو فوق حسي[41]، والحال أن اسبينوزا يعرض المشكل ذاته وإن عبر زاوية مغايرة فإعادة ترتيب العلاقة بين الإنسان والطبيعة هو الأساس الفيزيقي للبناء الإتيقي، ولعلنا نستحضر تذييل الباب الأول من الإتيقا الذي يعد بالنسبة إلى كثير من شُراح اسبينوزا بمثابة النص الرئيس والمعبر عن موقف اسبينوزا دون القيد المنهجي الذي تفرضه الكتابة الرياضية، يحدد اسبينوزا في هذا النص مشكلة البشر مع الطبيعة، أعني مشكلة الوهم المرتبط بالطبيعة، والتي تتجلى في نوع الوعي الوهمي الذي يفترض أن الطبيعة تتصرف كما يتصرف الإنسان أو طبقا لأهوائه[42]، وهو موقف يتكرر عند ترتيب اسبينوزا للعلاقة الزمانية بين البشر والطبيعة في اللاهوت والسياسة، فالمعجز التاريخي يقوم على وهم التمايز المصطنع بين الإرادة الإلهية والقانون الطبيعي؛ فالقدرة الإلهية هي نفسها قدرة الطبيعة ولو قلنا عكس ذلك لكانت العلاقة بين الطبيعة والإله علاقة تصادم وصراع[43]، فحقيقة الاتساق بالنسبة إلى اسبينوزا لا تحتمل التمايز بين الجوهر الإلهي والجوهر الطبيعي، والواحدية المحايثة نفسها تفرض أن يكون هنالك جوهر واحد هو الطبيعة والإله في نفس الوقت (dieu siva natura). لا غرابة إذن أن تؤكد الإتيقا نفسها ضمن النظريات البيئية المعاصرة من جهة تعزيز الشراكة مع الطبيعة وإعادة موضعة الإنسان ضمن نظام الضرورات الطبيعية، وهو ما تُنبهت له الفيلسوفة البريطانية ايكي دي يوننغ (Eccy de Jonge) فمدار الارتباط بين طبيعانية اسبينوزا، وبين والاتجاهات البيئية المعمقة (Deep ecology) يتجلى عبر مرتكزين أساسيين؛ الأول يتعلق بتقويض وهم التعالي والمركزية الذي انتجته الفلسفات الذاتية

39 المرجع ذاته ص 64

40 Alain (Émile Chartier) Spinoza Éditions Gallimard, 1949 p 24

41 G.B Martin, the mind in nature oxford university press 2008 p 177

42 الإتيقا تذييل الباب الأول.

43 اسبينوزا، رسالة اللاهوت والسياسة، تقديم وترجمة حسن حنفي مراجعة فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2005 ص 215

(non-anthropocentrism). أما المرتكز الثاني وهو الأهم، فيرتبط بشمولية البيئة (ecological holism) فالفيزيقا المحايثة تفرض على الإنسان الخضوع لقوانين الطبيعة وإدراك أن الخطر البيئي يشمل الإنسان من حيث هو عنصر مركب من جملة التراكيب والتجزيئات التي تتعالق مع بقية العناصر الطبيعية والإيكولوجية[44]، وهذه مزية تتجدد للإتيقا في مقارنتها مع عقيدة التذوت الأخلاقي، والتي وإن أعلت من مكانة الشخص الأخلاقية، إلا أن النتيجة الحتمية لأخلاق الوعي تستتبع إهمالا لا مناص منه للقالب الإيكولوجي باعتباره الحاضنة الفيزيقية للبعد المحدود من الإنسان، وهو الجسد ولذلك تتوحد مواقف ديكارت وكانط تجاه الحيوانات؛ فحقيقة الكليّ الأخلاقي المجرد أنه يضع الإنسان خارج واقعه ويفصل بينه وبين هذا الواقع بفعل التصورات المفهومية الخداعة حول مركزية إنسانية مغلوطة تجاه الطبيعة، وقد نتج عن هذا الاستعلاء المصطنع ضرر يتحمله الإنسان قبل بقية الكائنات الأخرى، فالدورة الإيكولوجية ليست نمطا من الترف أو ضربا من السعي نحو الكمال الجمالي، إنما هي في صميمها نزعة انسانية تنحو بالإنسان نحو استعادة واقعه الأصلي ضمن مملكة الطبيعة، والإتيقا كما هو معلوم لا تدّعي تفسير الطبيعة كليا؛ فمعرفتنا بحاضنتنا الإيكولوجية محدودة بالأفق المعرفي المتناهي، حيث يقر اسبينوزا أن غايته تحدد في تفسير ومعرفة الأشياء التي تصل بالإنسانية إلى غبطتها القصوى. لذلك، نجد كارل ياسبرس في تصنيفه الشهير لعظماء الفلاسفة يضع اسبينوزا في زمرة الفكر الطليعي؛ أي أولئك الذين بلغوا الطمأنينة وأخلصوا في إشاعتها بين البشر.[45] واسبينوزا إذ يحرص على بعث هذه الطمأنينة، فإنه في الوقت ذاته لا يربطها بأهداف تخيلية أو قيّم متعالية على الوجود الإنساني المنخرط في التقلبات التي تفرضها طبيعته المتناهية، هذه الطمأنينة تظل مشروطة باستكناه العمق الطبيعي وبيان كيفية اتحاد الفكر مع الطبيعة، وتلك غاية يكشف عنها اسبينوزا في إصلاح العقل، حيث يقتضي بلوغ الخلاص معرفة الطبيعة بما يكفي لاكتساب ما نصبو إليه من كمال طبيعتنا.

إن مقتضيات لجوء العبارة السبينوزية إلى الطبيعة كمنطلق وموئل تجعل الإنسان يستهل طريق الخلاص بتفهم موقعه ضمن نظام الطبيعة، وينتهي به الأمر إلى الاتحاد بهذا النظام وتذوق الطمأنينة التي يجلبها هذا الاتحاد[46]، فالطبيعانية السبينوزية هي على الأصالة محاولة ضد روح عصره المتسم بالفوقية التي تجرد الطبيعة من كل فاعلية ممكنة وترسخ مبدأ التسخير اللامشروط لكل العناصر الإيكولوجية، واسبينوزا في مناظرته لسابقيه على وجه الخصوص ديكارت وبيكون يلخص هفوات هذين الأخيرين في أنهما ابتعدا عن تفهم طبيعة العلة الأولى والأصلية للوجود، وأنهما لم يطلعا على طبيعة النفس البشرية وتلك مهمة اسبينوزا بامتياز، وهي إعادة بناء الأنثروبولوجيا في ضوء أنطولوجيا محايثة.

---

44 Eccy de Jong spinoza and deep echology Published 2016 by Routledge p 82

45 كارل ياسبرس، عظمة الفلسفة ترجمة عادل عوا، منشورات عويدات بيروت، الطبعة الأولى 1988 ص 86

46 اسبينوزا، إصلاح العقل، ترجمة جلال الدين سعيد، مرجع سابق الفقرة الخامسة

4- الإتيقا ونقض الرؤية الأخلاقية للعالم

«إن إبدال الأخلاق بالإتيقا هو النتيجة الفعلية لمذهب التوازي»(دولوز)

يقدم دولوز نظرية التوازي كعنصر فاعل في تشكّل البعد العملي للمشروع السبينوزي، وفي إبراز الدلالة العملية للإتيقا، ولا يمكن بالمجمل حصر تدرج النسق داخل المسألة الإتيقية نفسها بالاعتماد على كتاب الإتيقا وحده على أهميته، فإذا كان دانييل بيمب (Daniel pimbè) يعتبر أن السبينوزية تنتهي إلى نظرية في الخلاص ينقشع معلمها الناصع في الباب الخامس من الإتيقا[47]، فإن مسيرة الخلاص هذه تتبدى بواكيرها الأولى في رسالة إصلاح العقل، حيث يبدو اسبينوزا كمن يشيد على جهة التدرج مطارحة إمبيريقية في معاثر الأخلاقية، حيث أفضت التجربة الحياتية إلى الحكم بالتهافت على مطامح السعادة الواهمة التي درج السواد من الناس ملاحقتها؛ فالعبث كل العبث أن يتنازل المرء عن الثابت في سبيل ما لم يثبت بعد، كما أن قبول العبثية ذاته ينسحب على كل ضرب من التفلسف لا يتعين عبر إشراك عامة البشر في منتج الخلاص، لذا كان شرط اسبينوزا ومبعث عزيمته أن يبحث فيما إذا كان يوجد خير حقيقي قابل للتوصيل[48](capable de communiquer)هذه القابلية للتوصيل هي التي تمنح الإتيقا السبينوزية أفقها الجماعي والإنساني أيضا، فعقيدة «تعميم الخير» التي تنازل عنها ديكارت وتلقفها اسبينوزا تضمن علو كعب فريد للسبينوزية كمفتتح للنسقية في الفلسفة الحديثة، حيث لا تصدر التفكرات النظرية إلا عن هاجس مهموم بالعمومي والتشاركي.

يشير دولوز إلى درجة من الاتحاد بين المنهج والهدف؛ فهدف تحقيق السعادة لا يتأتّى إلا بواسطة منهج تفكُّري والهدف بحد ذاته تفكّري، حيث يتضمن منهج اسبينوزا ثلاثة عناصر وثيقة الترابط « يتصل أولها بغاية الفكر نفسها فهذه الأخيرة لا تقوم على معرفة شيء ما بقدر ما تقوم على معرفة قوة المعرفة نفسها. أما العنصر الثاني، فيتصل بوسيلة تحقيق هذه الغاية، إذ يفترض أن الحقيقة هي فكرة معطاة علينا أن نجعل منها فكرة حقيقية. أما العنصر الثالث، فيتعلق بوحدة الشكل والمضمون وحدة الوسيلة والهدف، والأمر لدى اسبينوزا كما لدى أرسطو، حيث يجزئ التعريف الصوري والتعريف المادي.[49]

ونحن عندما نشير إلى أولوية النسق على المنهج في فلسفة اسبينوزا مقارنة بالإخلاص الديكارتي للمنهج، فإننا نستشهد على هذا القول بتطور فلسفة اسبينوزا نفسها.

47 Daniel pimbé, spinoza hatier 2019 P: 108

48 إصلاح العقل، ترجمة جلال الدين سعيد، مصدر سابق الفقرة الأولى

49 جيل دولوز اسبينوزا ومشكلة التعبير، ترجمة انطونيو حمصي، مرجع سابق ص 112

فالتخلي عن إكمال رسالة الإصلاح (réforme de l›entendement) يمكن أن يُنظر إليه، باعتباره نكوصا واضحا عن الخُطاطة الديكارتية، فاسبينوزا في الرسالة المذكورة لا يتوانى عن تعداد محاسن المنهج وفضله على سلامة التفكير فالمطلوب من المنهج؛

أولا؛ أن يميز الفكرة الصادقة عما سواها من الإدراكات والأفكار المشوهة، وأن يحفظ الفكر من هذه الأخيرة

ثانيا؛ أن يضبط القواعد التي تسمح، وفقا لهذا المعيار بإدراك الأمور المجهولة،

ثالثا؛ أن يؤسس نظاما يجنبنا عناء البحث في الأمور التافهة[50]

لا يمكن القول إن اسبينوزا يتخلى بالمطلق عن الريادة المنهجية في بقية أعماله النسقية، ولكن وكما أشار إلى ذلك آلكي، فإن اسبينوزا لم يعد ذلك الفيلسوف المخلص للقواعد المنهجية، حيث يعلو المنهج لديه إلى مصاف الكُلّي.

عندما نقول إن السبينوزية في صلبها نزعة إثبات وتوكيد؛ فمعنى ذلك أن مشروعا نسقيا في سعادة البشرية لا يمكن أن يحوي تصورا موجبا للشر الجذري (mal radical) وهنا سنعود إلى المراسلات، حيث يميز اسبينوزا في معرض رده على بلينبرغ بين السلب (négation) وبين الحرمان (privation) فالحرمان ليس مفهوما موضوعيا، بل هو محض تخاطر إنساني ناتج عن مقارنة واهية للأشياء ببعضها[51]، ولكن فلسفة المدرسة تقول لنا الشيء ذاته؛ أي إن الشر ليس سوى عدم، وأن العقول القاصرة هي التي تنجرف مسرعة وراء عقيدة الشر الأنطولوجي، فهي شرور بالنسبة إلى من وقعت عليه، وليست شرورا بذاتها كما يقول ابن سينا[52]. فما هو الجديد إذن عند اسبينوزا؟

الواقع أن اسبينوزا وبمعول أركيولوحي لا يتوقف عند التفنيد الأكسيولوجي لفكرة الشر وحدها، بل إنه يتجاوز هذا المسار ليقدم نقدا جذريا لاعتبارات الأحكام الأخلاقية المسبقة بغض النظر عن مآربها وتوجهاتها القبلية وهنا أيضا نستحضر عبارة دولوز التي ذكرنا سابقا حول الحياد الأخلاقي لفلسفة اسبينوزا، فأول ذكر لعبارة الخير (bonum) في كتاب الإتيقا، يأتي في حاشية القضية التاسعة من الباب الثالث، حيث يضع اسبينوزا حدود الترسيم الحيوي للإنسان، باعتباره كائنا راغبا (un homme desirable)؛ فنحن لا نرغب

50 إصلاح العقل، مصدر سابق ص 41

51 المراسلات مع بلينبرغ، ترجمة جلال الدين سعيد، الرسالة 21

52 ابن سيناء، المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات الجزء الثاني، ص 560

في الأشياء كوننا نعتقد أنها خيّرة، بل على العكس نعتبر أنها خيرة كوننا نرغب فيها ونسعى إليها[53]، فهذا الترسيم الأنثربولوجي المستحدث ينزع أي ضرب من التقديس الأخلاقي لمفاهيم الخير والشر، وينتقل بنا من منطق الحدِّيات إلى نطاق التسويات، والتي تكون فيها التعابير الأخلاقية مشروطة بالمحددات الجزئية للرغبة الإنسانية، هذا الارتباط الحيوي بين الانفعالات والتصورات يؤكد عليه اسبينوزا في حاشية القضية 39 من الباب ذاته؛ فالخير هو كل ما يقود إلى الفرح والشر هو كل نوع من أنواع الحزن[54].

وقبل الانتقال إلى ما يمكن أن أسميه هرم الانفعالات الذي يؤسس له اسبينوزا على اعتبار أن اسبينوزا يدحض التراتبية في كل فلسفته ماعدا الانفعالات التي تتراص وفق هرمية محكمة يتصدرها انفعاليْ الفرح والحزن، وهي مع ذلك تظل في جوهرها تراتبية محايثة.

ولكن قبل ذلك كله، نتوقف قليلا عند بؤرة المساهمة السبينوزية في المبحث اللغوي، وهي مساهمة من شأنها أن تفسّر لنا سلبية موقف اسبينوزا من الكليات المعرفية والكليات الأخلاقية؛ أي الخير والشر وكل نزعة تعالي أفهومي لا تراعي منظومة المحايثة المعرفية، إذ يقف اسبينوزا في الباب السادس من كتابه المعنون «أفكار ميتافيزيقية» (pensées métaphysique) على الشروط التاريخية لنشأة التعابير والألفاظ اللغوية المتعالية والتي انتقلت من نطاق الأساطير الشعبية ليجري ترسيمها لاحقا ضمن البنيان الدوغمائي لفلسفة الألفاظ الكليّة[55] وفق هذا المنحى الفيلولوجي يضع اسبينوزا إحدى ركائز اللسانيات المعاصرة، والحال أن المسار الفيلولوجي في فلسفة اسبينوزا سيتواصل ويأخذ مسلكا فريدا في الدراسة اللغوية لنصوص العهد القديم.

وعلى الرغم من أن غادامير يصنّف نفسه كخصم لدود لسطوة المنهج في قراءة التراث، ويشير إلى اسبينوزا باعتباره النموذج الفج للتنوير الدوغمائي، فقد كان هدف اسبينوزا ومن ورائه عصر التنوير بمجمله، التخلص من الأحكام المسبقة ضمن حكم مسبق ضد الحكم المسبق نفسه، ويمكننا أن نتوقف عند نص مهم من كتابه العمدة: الحقيقة والمنهج، يصف فيه غادامير ما يسميه بجذرية عصر التنوير تجاه الأحكام المسبقة «فالجذرية الحقيقية لعصر التنوير الحديث مقارنة بجميع الحركات التنويرية الأخرى: أنه يؤكد ذاته بمقابل الكتاب المقدس وتأويله الدوغمائي. لذلك فهو يُعنى على نحو خاص بالمشكلة التأويلية، إذ يريد أن يفهم التراث فهماً صائباً؛ أي فهماً عقلانياً ومن دون حكم مسبق، ولكن ثمة صعوبة خاصة تتعلق بهذا الأمر، نظراً للحقيقة الناصعة القائلة إن كل ما يدوّن يمحضه سلطة خاصة، فليس من اليسير تماماً الإقرار بأن ما هو مدون يمكن أن يكون غير حقيقي؛ فالكلمة المكتوبة ذات طبيعة ملموسة يمكن إثباتها، وهي مثل برهان،

53 الإتيقا، الباب الثالث، حاشية القضية التاسعة

54 المصدر السابق، حاشية القضية 39

55 أفكار ميتافيزيقية، الفصل السادس من الترجمة المذكورة سابقا لجلال الدين سعيد ومراجعة صالح مصباح

فالمرء بحاجة إلى جهد نقدي خاص كيما يحرر نفسه من الحكم المسبق الذي يكون من صالح ما هو مدون، وأن يميز هنا أيضاً على نحو ليس أقل مما في حالة التقريرات الشفاهية، بين الرأي أو الظن والحقيقة».[56]

رُبّ قراءة يصفها غادامير بالراديكالية والدوغمائية، هي في العُرف السبينوزي تمتلك شرعية الشجاعة والإقدام في رد السلطة المطلقة للنص، والحال أن غادامير الذي أعلى من مكانة التراث حدّ الكُليّ كما ينقد عليه هابرماس لم يجانبه الصواب حين وصف منهج اسبينوزا بأنه محاولة لإثبات الذات في وجه الكتاب المقدس مع تحوير بسيط، وهو أن القول السبينوزي في الكتاب المقدس لم يكن خلوا من العناصر التفهّمية التي يتبنّاها غادامير واسبينوزا نفسه في طور قراءته لمفهوم المعجزة يؤكد على أسبقية العنصر الإتيقي على العنصر الإعجازي في فهم ظاهرة النبوة من خلال الفصل بين اليقين الرياضي واليقين الأخلاقي، والقراءة السبينوزية وهذا هو الأهم لم تهمل المخّيلة كعنصر أساسي في تشكل الحالة الدينية»؛ فالسبب الذي جعل الأنبياء يدركون تعاليمهم ويعرضونها دائما بلغة الأمثال أو الألغاز، وجعلهم يعبرون عن الحقائق الروحية بطريقة جسمية، فهذه الأساليب كلها تتفق تماما مع طبيعة الخيال، لذلك لن نندهش عندما يستعمل الكتاب أو الأنبياء للتعبير عن الروح؛ أي عن فكر الله، لغة معيبة غامضة كتلك التي نجدها في سفر العدد» ويواصل اسبينوزا إرجاع تفهُّميته الدينية إلى نسبوية مفهوم المخيلة «فلما كان الخيال مبهما متقلبا، لم تبق النبوة دائما ماثلة أمام الأنبياء، ولم تتكرر باستمرار، بل كانت نادرة للغاية؛ أي إنها لم تعط إلا لعدد قليل من الناس، بل لا تحدث عند هذا العدد القليل ذاته إلا نادرا».[57] كما أنّ مسلكا كهذا يؤشر أيضا على عقيدة المحايثة التي تخترق البناء الإتيقي الذي تشكل السعادة التشاركية محوره العملي، وليس أدلّ من ذلك إعادة التصنيف الهيكلية للعلوم النظرية والتجريبية بحسب موقعها من نظام المصالح الإتيقية؛ ففي نص طويل نسبيا من إصلاح العقل يخط اسبينوزا لوحة تصنيف صارمة للعلوم تبدأ بالعلم الطبيعي الذي من شأنه تحقيق قدر من الانسجام مع القوانين الطبيعية الثابتة والأزلية، ثم يأتي دور فلسفة الأخلاق والتربية التي من وظيفتها تحقيق الشرط التشاركي للسعادة، إذ من واجب الحكيم أن يبذل قصارى جهده كي يدرك الآخرون ما يدركه وتتفق رغباتهم مع رغباته اتفاقا تاما[58]

إن اسبينوزا إذ يجعل الرغبة عين ماهية الإنسان لا يجد بُدًّا من تحوير هذه الرغبة لتتلاءم والمتطلبات النزيهة التي يسعى خلفها كل عقل سليم، هذا المسلك الذي سيبلغ ذروته في فكرة الحب العقلي للإله.

56 هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار أويا للنشر الطبعة الاولى 2007، ص 376

57 اللاهوت والسياسة مصدر سابق ص 138

58 إصلاح العقل مصدر سابق الفقرة الخامسة

وسننتقل هنا إلى نص آخر من الإتيقا يعرض فيه اسبينوزا لنتائج عملية التعبئة الوظيفية التي من شأن الإتيقا أن تصوب بموجبها بقية المعارف والعلوم المختلفة، ويحدد اسبينوزا الميزات الثلاث لمذهب الإتيقا من حيث هي فلسفة للسعادة والفرح بالمعنى الدولوزي؛ وذلك على النحو التالي:

1- أننا أمام ضرب من التفلسف المقبل على الحياة؛ أي إن اسبينوزا غير معنيّ باستثمار حدث الموت، سواء بالمعنى الأخلاقي أو الإسخاتولوجي؛ فاولئك الذين يترقبون جزاء إلهيّا على فضائلهم ومآثرهم وأيضا على خضوعهم كما لو لم تكن خدمة الإله وممارسة الفضيلة هي السعادة «المحايثة» والحرية القصوى[59].

2- أن إتيقا السعادة هي فلسفة تشييد ومواساة؛ بمعنى أن ديناميكية الانفعالات وتقلبها تكبح إرادة الانسحاب وتعزز بواعث الاستمرار في الوجود والحفاظ عليه، حيث يصير كل فرد قادر على تحمل حدثان الدهر وتقلبات الزمان.

3- أخيرا إن المقوم السياسي للإتيقا لا يتأسس على دافع الخوف المتجذر كما عند هوبز، بل على حافز الاستمرار في الحياة والتنشيط الدائم لنوعية هذه الحياة وجودتها، إذ تسعى كل نفس من حيث إن لديها أفكارا واضحة أو غير واضحة إلى الاستمرار في الوجود عبر الكوناتوس[60].

ضمن هذا التعيين الوصفي لا يفرق اسبينوزا مبدئيا بين مسعى الحفاظ على الوجود وفق تفكّرات واضحة ومتطابقة (adéquate)، وبين المجاهدة الوجودية المنبتة من أفكار غامضة ومشوهة (connaissance mutilé) هذا ما يسميه بالتازار توماس (Baltasar Thomas) برحلة الطواف الانفعالي (Errances affectives) [61] التي يقوض بموجبها اسبينوزا إمكان الصياغة القبلية أو الأفهومية لمحددات أو مسطرة أخلاقية دقيقة تسيّر الكائن البشري، بغض النظر عن راهنيته الانفعالية؛ فالسعادة بهذا المعنى هي طور أو موقف انفعالي يتحقق بمجرد الانتقال من وضع انفعالي سالب إلى آخر موجب، لذا كان مزراحي حريصا على التمييز في ترجمة الاصطلاح السبينوزي بين الانفعالات الموجبة (les affects) والانفعالات السالبة (les passions) فالتحقق العملي لأقنوم السعادة لا يتأتّى وفق قفزة أخلاقية تخرج عن براديغم القدرة السائلة، وإنما يتعيّن على نحو محايث، إذ لا يمكن كبح انفعال أو القضاء عليه إلا بانفعال آخر أشد منه[62].

هذا الأفق الأنثربولوجي المحايث الذي يتسيد الحياة الفردية ينسحب تماما على العلاقات الاجتماعية التي مهما حاول فلاسفة الأخلاق قولبتها ضمن نماذج جاهزة لا يمكن إلا أن ترتهن لهذا المزاج الانفعالي، الذي

59 الإتيقا، الباب الرابع القضية 67 وبرهانها

60 الإتيقا، الباب الثالث القضية 9

61 Balthasar Thomas, etre heuresux avec spinoza, Groupe Eyrolles, 2008 p: 35

62 الإتيقا، الباب الرابع القضية 7

يتحدد وفق القدرة السليمة على الانفلات من ضروب المخيلة والمعرفة غير المتطابقة إلى نطاق الأزلية، حيث يتطابق الفكر مع ذاته في مسيرة مضنية من الترقيات الانفعالية، لذلك يستعمل الباحث الغابوني ماسيما لوونغو في أطروحته الشيقة حول الفرد في فلسفة اسبينوزا ملفوظة «المنطق الانفعالي للعلاقات الإنسانية (logique effective des relations humaines)»[63]

فالانفعالات بطرفيها المتقابلين «السالب والموجب» هي التي تحدد ميكانيزمات التعايش بين البشر، وهذا يتضح بجلاء في الفصل السادس عشر من اللاهوت والسياسة، حيث يناقش اسبينوزا الحق الطبيعي بالمطلق؛ أي حق الفرد في أن يعيش كما تقتضي طبيعته الخاصة، سواء كان ذلك وفق الشهوة أو الفضيلة، إذ يرسي اسبينوزا فكرة العقد الاجتماعي على أنها انتقال من حالة انفعالية إلى أخرى لا تقوم على الخوف فقط كما عند هوبز قدر اتكائها على الرغبة في الحفاظ على الوجود وترقية الموقف الانفعالي الذي من شأنه أن يعزز صيرورة الحياة السعيدة.

إذا كان هيدجر قد رفع بعض المفاهيم من مصاف القول الشعوري إلى نطاق التبيئة الأنطولوجية، على غرار معاني القلق والثرثرة والفضول...إلخ، فإن اسبينوزا هو أول من سلك هذا المسلك بمعنى إعطاء الواقعة البسيكولوجية بُعدا أنطولوجيا، فالانفعالات والتأثيرات هي أكثر من مجرد وضعيات نفسية، بل هي وسيلة الإنسان للخروج من موقف أنطولوجي إلى آخر، فالفرح فضلا عن كونه انفعالا، فهو كذلك وسيلة ينتقل بها الإنسان إلى كمال أكبر يقول اسبينوزا في تعليقه على القضية الحادية عشر من الباب الثالث، «يمكن أن تطرأ تغيرات كبيرة على الذهن ينتقل من خلالها تارة إلى كمال أكبر، وتارة إلى كمال أصغر، وتفسر لنا هذه الانفعالات المنفعلة عاطفتي الفرح والحزن.[64] لذلك يقر براندون سميث في قراءته الحيوية لمفهوم اللذة عند اسبينوزا الطابع الأنطولوجي الفريد الذي منحه اسبينوزا لهذا المفهوم (Spinoza's Ontology of Pleasure)

ونحن عندما ننظر في الخطة العامة لكتاب الإتيقا، فإننا نستشعر أن الباب الأول الذي يمكن أن نمنحه عنوانا فرعيا، وهو المحايثة الأنطولوجية ما هو إلا إقرار البعد الأنطولوجي لكل ما ستتناوله بقية أبواب الإتيقا، أو بمعنى آخر هو التهيئة الأنطولوجية للمبحث العملي.

63 Louwoungou Massima, anthropologie et politique chez spinoza, THÈSE DE DOCTORAT EN PHILOSOPHIE Université Bordeaux Montaigne 2015 p: 327

64 الإتيقا الباب الثالث، التعليق على القضية 11

الخاتمة

لا يمكن إطلاق مفهوم القراءة المدرسية على ما قام به دولوز مع اسبينوزا، ليس فقط لأن دولوز أراد من خلال اسبينوزا ما أراده اسبينوزا نفسه في عصره؛ أي تجاوز المدرسية، بمعنى الفهم المتعالي لحركة الأنساق الفلسفية، بل كذلك لأن دولوز كان قبل كل شيء معنيا بالإيقاعات اللحنية التي تحكم نظام العلاقات في الفلسفة السبينوزية على بساط المحايثة، ويمكن تجوزا أن نقول إن قراءة دولوز الإنسانية لبساط المحايثة تسعى دون تورية لاستعادة فن جديد للتعايش من دون ذوات، ومن دون إيديولوجيا تحكم تعسّفيّا وجدليا نظام العلاقات الاجتماعية، حيث لا يحصل حتى المنتصر سوى على ما يسميه دولوز بأفراح الكراهية، إن بساط المحايثة يسمح لنا باستمرارية التشكل، بفرصة دائمة ومتجددة في علاقات الكائن بمحيطه، فلا وجود لذوات ولا لحالات أو قوالب شعورية صانعة للأفراد. إنها فرصة للتلاقي على بساط مركّب أفقيا، فاسبينوزا ورغم كونه أكثر الفلاسفة تفلسفا كما يقول دولوز، إلا أنه يعلم الفلاسفة ألا يكونوا فلاسفة، ويعلّم التفلسف لغير المتفلسف، وبذلك يجعل من نفسه موضوعا للمحبة والتلاقي، إذ ليس للإنسان إلا الإنسان.

بيبلوغرافيا المصادر والمراجع

- جيل دولوز، اسبنوزا ومشكلة التعبير، ترجمة أنطوان حمصي، مراجعة محمد صبحي، دار أطلس للنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولى 2004
- جيل دولوز، سبينوزا فلسفة عملية، ترجمة عادل حدجامي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2015،
- جيل دلولوز، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1993
- جيل دلولوز، فلسفة كانط النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت الطبعة الأولى 1997
- ألف باء دولوز، حوارات جيل دولوز مع كلير بارنت، أحمد حسان، مركز المحروسة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 2018
- جيل دولوز، خارج الفلسفة، نصوص مختارة نقلها إلى العربية، عبد السلام بن عبد العالي وعادل حدجامي، منشورات المتوسط، الطبعة الأولى 2021
- باروخ اسبينوزا، الإتيقا ترجمة وتعليق وتقديم أحمد العلمي، دار إفريقيا للنشر، الطبعة الأولى 2010
- سبينوزا، الرسالة الموجزة مع اصلاح العقل، ترجمة جلال الدين سعيد ومراجعة صالح مصباح مؤسسة مؤمنون بلا حدود للابحاث والنشر الطبعة الثانية 2017
- رسالة اللاهوت والسياسة، تقديم وترجمة حسن حنفي مراجعة فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2005
- باروخ اسبينوزا، أفكار ميتافيزيقية، مبادىء فلسفة ديكارت، المراسلات، ثلاثة مؤلفات ضمن مجلد واحد، ترجمة جلال الدين سعيد ومراجعة صالح مصباح، المعهد الوطني للترجمة تونس، الطبعة الأولى 2015
- ألكسندر كويريه، ثلاثة دروس في ديكارت، ترجمة يوسف كرم، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2014
- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار اويا للنشر الطبعة الاولى 2007
- كارل ياسبرس، عظمة الفلسفة ترجمة عادل عوا، منشورات عويدات بيروت، الطبعة الأولى 1988
- فريدريك فيلهلم هيجل محاضرات فلسفة التاريخ، الجزء الأول، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، 2007
- إميل برييه، تاريخ الفلسفة، الجزء الرابع، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1987
- فيردناند آلكى، دروس السربون، الطبيعة والحقيقة في فلسفة سبينوزا، ترجمة أحمد العلمي، دار إفريقيا للنشر، الدار البيضاء المغرب، 2018
- فيكتور دلبوز الإشكال الأخلاقي في فلسفة سبينوزا، ترجمة أحمد العلمي دار إفريقيا للنشر، الدار البيضاء المغرب، 2017
- ثيودور أدورنو وماكس هوركهايمر، جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، دار اويا للنشر طرابلس – ليبيا الطبعة الأولى 2006
- خميس بوعلي، جيل دولوز، صورة الفيلسوف، مجموعة ناشرين، الطبعة الأولى 2015
- أحمد العلمي، فلسفة الوجود والسعادة عند اسبينوزا، إفريقيا للنشر، الطبعة الأولى، 2015

باللغات الأجنبية

Louwoungou Massima, anthropologie et politique chez spinoza, THÈSE DE DOCTORAT EN PHILOSOPHIE

- Université Bordeaux Montaigne 2015
- Balthasar Thomas, etre heuresux avec spinoza, Groupe Eyrolles, 2008

- Daniel pimbé, spinoza hatier 2019
- Alain (Émile Chartier) Spinoza Éditions Gallimard, 1949
- John dewey panthéisme de Spinoza traduction par marie Gabrielle Bertrand, Klesis Antonio Negri, Spinoza / Deleuze ·

le moment propice, Traduit de l'italien par Judith Revel , spinoza- Deleuze,lectures croisés, Sous la direction de

- Pascal Sévérac et Anne Sauvagnargues, ENS ÉDITIONS 2016

Véronique BERGEN, L'ONTOLOGIE

- DE GILLES DELEUZE,Harmattan, 2001

Gilles Deleue, Empirisme

- et subjectivité, essai sur la nature humaine selon Hume, dépôt l›egal 5 ème Édition 1993 press Universitaire de France 1993..

Michael mack, spinoza and the specters of modernity The Contin

- um International Publishing Group:2010
- Eccy de Jong spinoza and deep echology Published 2016 by Routledge
- G.B Martin, the mind in nature oxford university press
- Richard mason, the God of spinoza Cambridge University Press 1997
- Charlie heinemen, spinoza's Radical Theology Published 2014 by Routledge

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2023

جميع الحقوق محفوظة © 2023